



خطبة صلاة الجمعة 27 / 1 / 2017 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(سيدنا أنس بن مالك)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيته وخليفه، خير نبي اجتبا، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أمّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا، وَمَغْنَمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح 18].

وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143] وجيل الصحابة هم أول من خوطب بهذه الآية الكريمة.

أخرج البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» وأخرج الإمام الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لِيُبْلَغَ الْحَاضِرُ الْغَائِبَ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحَبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي، فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ، فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ، وَمَنْ يَأْخُذَهُ اللَّهُ فَيُوشِكُ أَنْ لَا يُقْلَتَهُ»

أيها الإخوة:

وقع لي وأنا أخطب بكم في مسجد سيدنا أنس بن مالك أن أجعل عنوان خطبة اليوم سيدنا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

أحدثكم فيها عن شيء من ترجمته ومناقبه لنفيد منها علماً وعملاً، يقول أبو عمر يوسف بن عبد البر: "وما أظن أهل دين من الأديان إلا وعلماءهم معتنون بمعرفة أصحاب أنبيائهم لأهم الوسطة بين النبي وبين أمته"

هو سيدنا أنس بن مالك بن النضر، المقي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، خادم رسول الله ﷺ، وتلميذه، وآخر أصحابه مؤثراً بالبصرة.

روى عن النبي ﷺ علماً جماً، قال الإمام أحمد بن حنبل: "سنة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا الرواية عنه وعُمرُوا: أبو هريرة، وابن عمر، وعائشة، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وأنس".

روى المحدثون عن سيدنا أنس ألفين ومائتين وستة وثلاثين حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

منها:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**» [البخاري ومسلم].

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ثلاث من كن فيه وجد خلاوة الإيمان وطعمه: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب في الله، ويغض في الله، وأن توفد نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئاً**» [البخاري ومسلم].

- عن هشام بن زيد قال: دخلت مع جدي أنس بن مالك دار الحكم بن أيوب، فإذا قوم نصبوا دجاجة يرمونها، فقال أنس: نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم.

- عن ثابت البناني عن أنس قال: مات ابن أبي طلحة من أُم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أباً طلحة بابنائه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء فقربت إليه عشاء، فأكل وشرب، وقال: ثم صنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة أرايت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك. قال: فعضب وقال: تركتني حتى إذا تلطخت ثم أخبرتني بابني. فأنطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره بما كان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بارك الله لكما في ليلتكما**» .

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِذَا ابْتُلِيتَ عَبْدِي بِحَبِيبَتِهِ ثُمَّ صَبَرَ عَوِضَتْهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةُ» يُرِيدُ عَيْنَيْهِ.

صَحَبَ سَيِّدُنَا أَنَسُ بْنُ نَبِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَمَّ الصُّحْبَةَ، وَلَا زَمَهُ أَكْمَلُ الْمَلَازِمَةِ مُنْذُ هَاجَرَ، وَإِلَى أَنْ مَاتَ، وَغَزَا مَعَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَبَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ ثَمَانَ سِنِينَ، وَفِي رِوَايَةٍ -عَشْرَ سِنِينَ- فَأَخَذَتْ أُمِّي بِيَدِي، فَانْطَلَقَتْ بِي إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَمْ يَبْقَ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَقَدْ أَتَّخَفَكَ بِتُخَفَةٍ، وَإِنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى مَا أُتَّخَفُكَ بِهِ إِلَّا ابْنِي هَذَا، فَخُذْهُ، فَلْيَخْدُمَكَ مَا بَدَا لَكَ.

قَالَ أَنَسٌ: "خَدِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أَفَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لَشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لَمْ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لَشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لَمْ تَرَكْتُهُ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، وَمَا مَسِسْتُ خِزًّا قَطُّ وَلَا حَرِيرًا وَلَا شَيْئًا كَانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا شَمَمْتُ مِسْكَاً قَطُّ وَلَا عَنْبَرًا أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" [الترمذي].

وَحَدَّثَنَا أَنَسٌ، قَالَ: جَاءَتْ بِي أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا أُتَيْسُ ابْنِي، أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ، فَادْعُ اللَّهَ لَهُ. فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَأَطِلْ حَيَاتَهُ»

قال أنس: فالله أكَثَرَ مَالِي، حَتَّى إِنَّ كَرَمًا لِي لَتَحْمِلُ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ، وَكَانَ فِيهَا رِيحَانٌ يَجِيءُ مِنْهُ رِيحُ الْمِسْكِ، وَوُلِدَ لِصُلَيْبِي مِائَةٌ وَسِتَّةٌ".

كان سيدنا أنس رضي الله تعالى عنه عظيم الحب لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شديد التعلق به، فقد أخرج الإمام مسلم والبخاري عن أنس رضي الله عنه "أن خياطاً دعا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لطعام صنعه. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: فذهبت مع رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ذلك الطعام، فقرب إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبزاً من شعير ومرقاً فيه دُبَّاء وقديد. قال أنس: فرأيت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبع الدُّبَّاء من حوالي الصحيفة، فلم أزل أحب الدُّبَّاء منذ يومئذٍ".

فمن محبة أنس لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صار يحب ما يحب رسوله من الطعام.

وأخرج ابن سعد عن المنثي بن سعيد الذارع قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم يبيكي.

وعند ابن سعد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء.. وما نفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا".

لقد انعكس حب سيدنا أنس رسول الله صلى الله عليه وسلم تأسيًا واتباعًا: فقد قال سيدنا أبو هريرة: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَنَسٍ". وعن ثمامة، قال: كَانَ أَنَسٌ يُصَلِّيُ طَوِيلَ الْقِيَامِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

وأكرم الله تعالى سيدنا أنسًا بكرامات، فقد روى تلميذه ثابت البناني: جَاءَ قِيَمُ أَرْضِ أَنَسٍ، فَقَالَ: عَطَشْتُ أَرْضُوكَ. فتردَّى أنس، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، ثُمَّ صَلَّى، وَدَعَا، فَتَنَارَتْ سَحَابَةٌ، وَعَشِيَتْ أَرْضُهُ، وَمَطَرَتْ، حَتَّى مَلَأَتْ صِهْرِيحَهُ، وَذَلِكَ فِي الصَّيْفِ، فَأَرْسَلَ بَعْضُ أَهْلِهِ، فَقَالَ: انْظُرْ أَيْنَ بَلَغَتْ؟ فَإِذَا هِيَ لَمْ تَعُدْ أَرْضَهُ إِلَّا يَسِيرًا.

أيها الإخوة:

مَاتَ سيدنا أنس رضي الله عنه في البصرة سَنَةً ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ. عن عمر جاوز المائة، وهو آخر الصحابة موتاً فيها.

روى ابن الأثير في كتابه أسد الغابة: (وكان عند أنس عصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات أمر أن تدفن معه، فدفنت معه بين جنبه وقميصه).

اللهم ألحقنا بصحابه نبيك غير خزايا ولا مبدلين وشفعهم فينا وفرج عنا بجاههم يا أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين